الفصل السادس

الخداع الكامل

كان كار مدركاً أن هواجسه تجاه الأمن أهاجت ماكبن .. لكن تلك المشاعر المكدرة شيء هامشي .. حيث ينصب الاهتمام على أمن الأمة .. وجاءت إحالة بيفي داندريل للتقاعد حديثاً مترافقة مع افتراضات واسعة بأن الروس البيض الذين استخدمهم كانوا مخترقين بالكامل من قبل السوفيت .

وكان كار فخوراً بموقفه المتميز فى الجهاز .. وكان مقتنعاً بأن مثل ذلك الأمرلن يقال له . ولحسن الحظ .. فإن الأمن فى عمليات البلطيق ، لم يعتمد بالكامل على ماكبن .. والذى يشعر كار .. أنه قريب جداً من المنفيين .

وكان هناك .. جون لويس زيوس « جون الكبير » ، وجون كروفتون « جون الصغير » فى المدرسة بشارع أولد تشارش الذين يمكنهم التقاط أى شكوك عن المجندين . وفى حالة فشل مثل هذا الفحص ، هناك المدربين المتخصصين الذين ينتبهون لأى إشارة ، وفى المقام الأخير .. هناك السفراء الثلاثة المنفيين ، بمقدورهم أن يتصلوا بأبناء وطنهم .

ورغم أن مهمة بيرجس ماكلين . تُذكر بشيء كريه وحتى على أفضل الأحوال أنها عمل خيانى .. إلا أن كار يعلم أنهم أجانب وحياتهم فى خطر ويعرفون المخاطر .. وكان ذلك الخط الأخير بالنسبة لكار .

وبعد كل شيء .. كان البريطانيون ومواطنو البلطيق يشتركان فى هدف مشترك وهو تحطيم الشيوعية ، وأن المخابرات البريطانية تعطى العملاء فرصة نادرة ومتميزة لمساعدة بلدانهم حتى تحقق استقلالها على المدى الطويل . ،اذا حازت تلك المهمة الأخيرة على الرضاء ، فإن المخابرات البريطانية ستزيد من دعمها نوعاً ما .

تلك كانت هى الأخطار العملية والصادقة لضابط مخلص ، لكنها لمن تكن ذات عمق فكرى . وحقا .. يمكن لأى شخص أن يعرض على كار رأيا بأن ضعف المخابرات

البريطانيـة كان بسبب فقـدان .. الرؤوس المفكرة .. الأجـابة على الفـور .. أن المؤسسة أفضل حالاً بغياب هؤلاء .

ولأن كار هـو الذى نفذ أول عمليـة اختراق كبيرة للاتحاد السـوفيتى لما يقرب من ثلاث سنـوات . ولأنه أيضا مقتنع بأن طفـولته القصيرة فى روسيا والخبرة الطـويلة فى اسكندنافيا والتى تحجب رؤية قادم جديد يساهم فى فن الجاسوسية .

وعمومـا فان العديـد من ضباط المخابرات البريطـانية ، يشاركـون كار فى ازدراء أولئك الـذين يبحثون عن تحليـلات عميقة والتى اسميت فى السنـوات التاليـة (المرايا المتـوحشة) ويتطلب عش الخداع الـذى أتقنته الـ « كى ـ جى ـ بى » قبل ذلك الفهم النقدى .

وفى عـام ١٩٢١ : وعندمـا أنشئت مؤسسـة الـ « كى ـ جى ـ بى » : وجـه لينين اهتمام فيليكس ديرجنسكى بقوله: « أخبرهم بما يريدون سماعه » .

وبوجـه عام فإن المخابـرات الغربية وقعـت فريسة الخداع لأن يـاكوشيف تسلم معلومات تؤكد الرغبات والتصورات المسبقة للمخابرات البريطانية .

وكانت لندن تحتاج قليلا من الإقناع بأن الحركة المعادية للشيوعية موجودة ، وأنها تبحث بالطبع عن علاقات وروابط مع الغرب وبعـد مرور خمسة وعشرين عاما : تأكد كار تماما من وجود حركات سرية معادية لروسيا فى دول البلطيق .

ومما يدعـو للسخرية : أن يسمح ضابـط مخابرات « للثقة » فى أن تؤثـر فى حياته المهنية .

إن صفات ومميـزات كار قـاصرة بحيث لاتمكنه مـن ممارسة الخداع النمـوذجى وحينما كـانت تبرز على السطح أى إشـارة شك .. كـانت تختنق جـزئيـا بـالمصلحـة الشخصية لماكبـن والعملاء المنفيين فى لنـدن وروسيا وتنطفىء تمامـا باعتقـاده الذى يصل حد الهاجس فى السرية . وينكر أن الآخرين ينفذون إلى عملياته ويستبعد أى تقييم موضوعى واستطـاع خداع لوكاسيفكس أن ينتعش فقط لأنـه تطور فى أفضل الظروف التى اعتقد كار أنها تحول دون وقوع الخطر .

وكان عميل لـوكاسيفكس ، من بين الأربعـة الذين هبطـوا فى لاتفيا وهـو جانيس ايرجلس وكـان اسمه الحركى لـدى المخابرات البريطـانية « أوجست » وقـد قضى هذا الشخص أربعة أعـوام يقاتل الأنصار فى الغابـات عندما وفق سنة ١٩٤٩ على أن لـديه

الخبرة الكافية ليدعى شخصياً أنه من الأنصار .

وبعد أن أقام لوكاسيفكس النموذج المطلوب ، بحث عن مشرف للعملية معاد للشيوعية ويمكن أن يثق بأحكامه المنفيين .

وكان المرشح لتلك المهمة ، قس كاثوليكى هو أنثونيس سبرنجوفتش وهو متعاطف مع الأنصار ، عرف لوكاسيفكس أنه يبحث وسائل لإقامة اتصال مع الفاتيكان .

وقدم إرجلز سراً إلى القس ، تظاهر أنه كاثوليكى متحمس ، وعرض عليه أن يخدم قضية الكنيسة .. واقتنع سبرنجوفيتش بإخلاصه . ووثق بعميل الـ « كى ـ جى ـ بى » وكان معه خطاب مفرط فى المديح من مطران لاتفيا الذى هرب إلى المانيا الغربية .

وفى سنة ١٩٥٠ اسقط إرجلز على ساحل جوتلاند وبعد أن أقنع بنجاح بيرتل بوند من المخابرات السويدية .. بضرورة منحه اللجوء السياسى . سمح له بالسفر إلى المانيا . وبعد نقله إلى معسكر للعمل فى ألمانيا خضع للملاحظة من قبل ضابط « القسم الفنى » باعتباره مجنداً ملائما . واستعد وجهز للقتال من أجل حرية لاتفيا .

ولما كان موجهاً .. اضطر إرجلز فى البداية أن يتورط فى أعمال المقاومة كارهاً . ثم اقتنع به الانجليز أخيراً ونقلوه إلى شارع أولد تشارش .

وبعد عامين .. من صبر ومهارة لوكاسيفكس .. كان عليه أن يحصل على الثمن . فبفضل ذلك أمكن وضع ضابط الـ « كى ـ جى ـ بى » ذى الخبرة فى قلب المخابرات البريطانية فى لندن .

وتلقى المعلومات الأساسية ، لتغذية عملية خداع ناجحة .

وازداد طموحه . وقرر أن يوسع من شبكته أكثر .

وقد علم ماكبن ، عن طريق بيركس أن هناك مجموعة أخرى من الأنصار تحت اسم حركى « روبرتس » وكان معروفا أنها لاتزال موجودة ، ورغم أن لتلك المجموعة روابط مع الأنصار الآخرين المختبئين فى غابات فيدزيم . إلا أن قادة مجموعة روبرتس ، كانوا لاتفيين محترفين ، وعاشوا فى ريجا بشكل شرعى تماما .

وذات مرة .. زرعت المعلومات ، ولم يكن ذلك قبل أن ينمو طموح ماكبن بفترة طويلة ، وقد رأى ان تستفيد المخابرات البريطانية من مجموعة « روبرتس » فى عملية جديدة . وينظم تلك العملية .. أرجلز والذى أثبت بعد ثلاثة شهور من التدريب موهبته

الطبيعية كضابط مخابرات .

وشرح ساليرجاس .. مجند المخابرات البريطانية ، وضابط التدريب لإيرجلز أن مهمته هى بناء شبكة مخابرات « من عملاء شيوعيين » أى .. مقيمين بشكل شرعى فى الاتحاد السوفيتى ، من سيبيريا وحتى لينينجراد .

وعلى إيرجلز أن يجد جامعى .. المعلومات .. فى كل مدينة سوفيتية كبرى ويحدد الأماكن الملائمة لإسقاط بالمظلات . وأن يستأجر الصيادين المستعدين لملاقاة السفن البريطانية على الشاطىء .

والحظر الوحيد عليه .. ألا يظهر بمظهر القومى الصارم . ولايدرك أحد من الذين يتصل بهم أنه يعمل لحساب المخابرات البريطانية . ولأن من يتصل بهم هم مواطنون سوفيت ولديهم الغطاء القانونى كمواطنين . فإن إيرجلز يمكن أن يحشدهم لخدمة طموحاتهم .

وهكذا فان جبل العش الذى نسجه لوكاسيفكس بدأ يطبق فى مكانه .

وبعد عام من وصول ارجلز إلى لندن ، تلقى لوكاسيفكس رسالة عبر الوكيل المقيم فى البعثة التجارية السوفيتية فى لندن تفيد أن ارجلز على وشك الرحيل بعد فترة قصيرة ووصلت الرسالة قبل أسابيع من طيران الفريق إلى هامبورج ..

أنزل كلاوس العملاء الأربعة عند مدخل نهر فينتا بالقرب من فينتلز ، وقبل ركوب ظهر القارب المطاطى انقسم الأربعة إلى مجموعتين وذهبت كل اثنين فى طريق منفصل ورغم أن الإيقاع بأكثر من ثلاثة عملاء بريطانيين فى الفخ كان مفاجأة للوكاسيفكس إلا أن صعوبات تحقيق الخداع زادت .

وكان الهدف « عملية لارسن ـــ س » هو السيطرة على أنشطة رجال المخابرات البريطانية داخل عش محكم ومسيطر عليه .

فبوضوح لايمكن السماح لثلاثة عملاء محترفين بالتجول دون رقابة داخل روسيا وأن تكون اتصالاتهم كل بالآخر مكشوفة فى روسيا .

وصحب جانيس بيرزنس ، ايرجلز .. وجانيس هو مشغل جهاز اللاسلكى واسمه الحركى « تومس » وانطلقا إلى ريجا التى تقع على مسافة مائة ميل .. حسب تعليمات ساليرجاس .

وحتى بالنسبة لأولئك الذين يحملون صلاحية بالمرور فإن السفر عبر الأراضى المسطحة التى تحيط بها الغابات عملية محفوفة بالمخاطر والمخاوف .

وقد أرهب التوتر الدولى وجود ستالين المخيف الجميع .. وحتى أشجع المواطنين الذين يتوقفون بانتظام عند نقاط التفتيش المتتالية وغير المتوقعة . ولم يخف ضباط المخابرات البريطانية عن مجنديهم كفاءة ووحشية نظرائهم السوفيت . أنهم ينزعون الأظافر ويحرقون السجائر فى الأجسام ، ويفقأون العيون .

وعَدد ساليرجاس كل ذلك أمام أولئك الذين وهبوا حياتهم من أجل معركة الحرية . وكانت حبوب السيانيد التى زودوا بها عشية الرحيل فى هامبورج .. هى الخلاص ..

ظهر ارجلز وبيرزنس من داخل غابة ، واتخذا طريقهما إلى محطة السكك الحديدية واستوقفهم رجلان مسلحان من رجال الأمن .

وشحب وجه بيرزنس لأن أوراقهما التى تفحص بدت غير مقنعة . وعندما ساروا صوب القرية .. انشغل إرجس فى حديث مع رجال الميليشيا وفجأة توقف الأربعة ومد إرجلز يده بما يزيد على ألف روبل .. وأشار إلى بيرزنس قائلا اجرى وفى ثلاثين ثانية انطلق وابل من الرصاص من المسدس . ولكن طاشت الرصاصات .

وبعد ساعة من ذلك ، سقط الهاربان من الإنهاك فى الغابة .

وعندما وصلا ريجا كان جسد بيرزنس لايزال يرتعد من الخوف .

واقسم ألا يغادر الشقة والتى حافظ عليها ارجلز آمنه ..

وسيعتمد على إرجلز فى جمع الاستخبارات لنقلها إلى لندن ..

وكانا مزودين جيداً بجهاز لاسلكى ، وخرائط وأسلحة ومايزيد على ١٩٠ ألف روبل . .

أما العميلان الآخران ، فكانا فى مهمة مختلفة : الأول هو لودس ابانز وهو لاتفى باسم حركى « بيتر » وكان عليه الاتصال بجماعة ماكسس وعليه إخبار لندن عما إذا كان بيركس وجالدنز أحراراً أم تحت السيطرة .

والآخر هو جوستاف من استونيا . وعليه عبور الحدود ويقيم اتصالاً مع الحركة السرية « تالين TALLINN » .

ومن أجل حماية أمن العملية ، أصر ماكبن الا تعرف جماعة ماكسس موعد ولا

مكان إنزال العملاء .

وبناء على نصيحة جـاليتس .. قائد من الأنصار .. حذر بيركـس لندن أن العملاء الجدد لن ينعموا بالحرية لوقت طويل اذا شكت جماعات الأنصار بأنهم من عمـلاء الـ « كى ـ جى ـ بى » وخاصة على يد جماعات الانصار التى تطوف المنطقة .

وقرر ساليرجاس أن تلك نصيحة معقولـة وسأل بيركس أن يدله على عنوان منزل آمن يقيم فيه العميلان اقامة مؤقته .

ووجد جاليتس مكانا ملائماً .. منزلاً لايبعد عن الساحل .

وهكذا كانت محاذير المخابرات البريطانية قصيرة العمر .

وصارأيانس مباشرة فى العش وطلب من مضيفه إعـلام جماعة ماكسس بوصوله الآمن . وكان جـوستاف مـوضـع ريبة أيضـا لأنه لم يترك أبانس يسـافر إلى استـونيا واختفى الأمن نهائيا بعد أربعة أيام فقط .. حيث التقى العميلان بجماعة ماكسس .

وصاح أباتس بكل سرور عندما شاهد بيركس والذى لايزال معروفا عند الانصار باسم حركى « أربس » وكانا صديقين فى القوات الجوية فى لاتفيا ، ثم ضابطين فى جهاز المخـابرات الألمانى وقـال أباتـس إلى بيركس .. تعليماتى هى التعرف على كل جماعـات الأنصار فى ريجا وفى الغابات .

وتـوقع لوكـاسيفكس أن تطلب لنـدن إعادة التحقق من نشـاطات الأنصـار . وفى الأسابيع السابقة .. أرسل ضباط الـ « كى ـ جى ـ بى » إلى غابات فيدزيم للعمل كما لو كانوا أعضاء فى جماعة « روبرتس » من الأنصار .

وكان يجب تقديم أباتس إلى المجموعة ..

وابتسم الميجور وهو يمازح رئيسه الجنرال فيفرس .. قائلاً أصبحت لعبة هائلة .. ولم يتوقع لـوكاسيفكس أن تعليمات بحـوزة أباتس وفى الانقضاض التـالى لكلارس .. عليه أن يعود إلى هامبورج ومعه بيركس أو جالدنز وقائد جماعة ماكسس « جاليتس » حسب رواية القادم الجديد .

ولم تحن فرصة العودة إلى بريطانيا إلا بعد عامين تقريباً ، فلقد استغرقت الغابات كلا العميلين ـ وبيركس كان مريضا . وجالدنز لأنه أحس بأن العملية كانت فاشلة .

وقال جـالدنز فى ذات مـرة وهو يتشاجـر مع بيركس : « علينا أن نسافـر أكثر »

ونقتل قليل من الروس أيضا » .

وكان لوكاسيفكس مقتنعاً .. أنه وتحت أية ظروف لايسمح لجالدنز شخصيا أن يعبر عن عدم رضاه فى لندن .

ونصح ضابط الـ « كى ـ جى ـ بى» جاليتس أن يقول له : « من المهم جدا أن يذهب » وأضاف « لقد أوشك الوقت بالنسبة لرجل يتباهى بنشاطه فى زمن الحرب ضمن زمرة مجرمة أن يقدم إلى العدالة .

اما بيركس ، من جهة أخرى .. فإن أمره يعتمد على إرساله تقريراً إلى لندن ، عندما يشفى من مرضه . وفى المناقشات المتكررة مع جاليتس وعد بيركس بأنه سيحث ساليرجاس بزيادة مساعدة المخابرات البريطانية .

ونقل كابورس مقترحات لوكاسيفكس .. بأن بيركس هو الوحيد الذى يجب أن يعود إلى برودوى وفى نفس الوقت هناك حاجة بالنسبة للوافدين الجدد بيتر وجوستاف لمعالجة أمرهم واحتوائهم .

وقال آبانس إلى جاليتس : ساعيش فى كنف « ماكسس » ، ثم جماعة روبرتس وأخيرا اسافر إلى ريجا قبل إرسال تقريرى إلى لندن .

واقتنع بيركس بعد مرور عدة أيام أنه « عميل حر » وقرر آبانس أن يلتقى مع جماعة روبرتس . وترك جوستاف المعسكر معه وأمر آبانس ألا يصحبه أى فرد من جماعة الأنصار « ماكسس » وأراد أن يكون مستقلاً وإعطاء جوستاف الفرصة للسفر إلى استونيا دون رقابة .

ولم يكن لدي لوكاسيفكس أى اعتراض . فإن ذلك يخدم أغراضه حيث يترك انطباعا لدى آبانس أن جماعات الأنصار ليست متصلة بعضها ببعض ، ووصل آبانس إلى غايته دون صعوبة تذكر . وكما كان معداً من قبل انفصل عن الاستونى فى الطريق

وتظل الملابسات الدقيقة المتعلقة بمصير جوستاف غامضة لأنها ربما تكون غامضة أيضا فى ملفات الـ « كى ـ جى ـ بى » . ومن المتفق عليه والشائع .. أنه فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٥١ توجه الإستونى شمالاً نحو الحدود . وما هى إلا ساعات قليلة فيما بعد حتى غطى جسده الفيضان السريع لنهر أوجافا . وسيظهر فى أيام قليلة منذ وصول آبانس وجوستاف .

لم يستطع لوكاسيفكس أن يتحقق عما إذا كانت الـ « كى ـ جى ـ بى » فى استونيا كانت قادرة على السيطرة على العميل البريطانى .. ويعد ذلك مؤشراً لفقدان التعاون المؤقت بين الدولتين الجارتين وفشل المركز فى موسكو تنسيق عملية الخداع . ولذا أمر لوكاسيفكس بإلقاء القبض على العميل « الاستونى » بعد انفصاله عن آبانس . وفسدت تلك المهمة البسيطة وابتلع جوستاف قرص السيانيد ، ورغم زعم لوكاسيفكس أن توقيف جوستاف من قبل حراس الحدود كان عملاً خطيراً .

وكان على بيركس أن يمرر رسالته إلى برودوى والذى يفترض فيها أن الـ « كى ـ جى ـ بى » قد بدأت استجواباً وتحقيقاً وتنتظر النتائج . وهكذا استبدت عملية الـ « كى ـ جى ـ بى » على نحو مؤلم ويثقلها التردد . وتركت الجثة مع النهر حتى تشكل جزءاً من قصة التغطية والتى كان مأمولاً أن تثير قدراً قليلاً من الحذر عندما تنقل إلى لندن .

وسمع بيركس أخبار موت جوستاف من رجل أرسلته جماعة روبرتس وغادر بيركس وجاليتس المكان على الفور وعثروا على فلاح شاهد عيان للمأساة والتى وصف لبيركس كيف أوقفه رعاة الماشية الذين يشكون فى أى غريب يسافر عبر منطقة الحدود .

وشرح « الفلاح » أن جوستاف لم يمتثل لرعاة الماشية عندما صاحوا فيه . ولم يكن الرجل الإستونى يتحدث اللغة اللاتفية ، وتجمع حرس الحدود ، وبينما هم يحاولون إلقاء القبض عليه .. ابتلع قرصاً وألقى برأسه فى النهر .. وأخذ يتلوي عندما بدأ قرص السيانيد يؤتى مفعوله .

وشاهد عيان آخر ، زخرف تلك الرواية بوصف كيفية إطلاق النار علي الشخص الهارب ، وعندما شاهد بيركس الجثة ، وجد جرحاً حقيقياً . ونقل كابرس رسالة بيركس الشفرية عن تلك الحادثة .. وفُسر صمت برودوى على نحو إيجابى .

ولم يبد آبانس أية مشاعر ، عندما أخبر عن موت جوستاف رغم أن أنصاره لاحظوا أنه أصبح عصبياً بشكل ملحوظ ..

ثم فهم لوكاسيفكس بعد ذلك أن المخابرات البريطانية اختارت آبانس لفحص الشبكة . وكان شكاكا بالطبيعة ويحمل كراهية عميقة للشيوعية ، وكان أحد أعضاء مجموعة روبرتس وهو البرتس دايلوس « فورست » قد أرسل تحذيره عن مشاعر القادم الجديد إلى مقر قيادة الـ « كى ـ جى ـ بى » وقال آبانس وهو يزمجر ..

« عندما ننتهى من الروس » سأطلق الرصاص على كل شيوعى أجده فى الصباح ثم أتناول الغداء مع كثير من الفودكا ثم أواصل إطلاق الرصاص بعد الظهر وسوف تكون شهيتى فى حالة جيدة فى العشاء . وحتى يؤكد تعهده بذلك كان آبانس يلعب دائما بمسدسه ، ودائماً ما ينهض ويسحبه من جيبه على طريقة « رعاة البقر » ويقول باو ، باو.

وحذر دابلوس فى تقرير إلى القيادة أن أبسط ذلة أثناء العملية فى وجود آبانس ستكلف عميل الـ « كى ـ جى ـ بى » حياته ..لأنه واثق من نفسه ويصر على أن يكون فى القمة .

وعم عدم الاستقرار بسبب حماقات آبانس .

وأثناء أيامه الأولى مع جماعة « روبرتس » كشف عميل المخابرات البريطانية كم عدد مواطنى البلطيق الذين تلقوا التدريب فى شارع أولد تشارش ، بل كشف عن هوياتهم وأسمائهم الحركية (الشفرية) .

وأفادت تلك المفاخر التى تباهى بها أن المخابرات البريطانية كانت تخطط لعملية كبرى . واحتار لوكاسفيكس لغياب الأمن .

وبالتأكيد فإن البريطانيين ليسوا هواه . أو أن الحفاظ على آبانس حيا وراضيا أمر حيوى لاكتشاف الإجابة وضمان ونجاح للـ « كى ـ جى ـ بى » .

وفى بداية مايو أرسل آبانس رسالة شفرية إلى لندن : « كل شىء تمام .. وفى معسكر ماكسس .. انتظر وصول كلوس فى نهاية الشهر » وكان على بيركس أن يعود إلى بريطانيا بصحبة جاليتس . كما طلبت برودوى ذلك .

وتم الحصول على قارب من صياد أسماك ، وبعد تلقى إشارة من لندن بالموعد وجدفوا فى الموعد بالقارب لملاقاة القارب (س ـ ٢٠٨) وفشل قارب الحراسة فى الوصول وكان ذلك التأخير غير مفهوم بالنسبة لبيركس ومثير للأعصاب . وقبل الفجر بساعة وبناء على اقتراح جاليتس .. عادوا إلى الشاطىء .

وفى الواقع ، أن بيركس أبحر حتى أصبح على بعد خمسة أميال من الرجلين ومعه ثلاثة عملاء على متن قاربه . ولكن أخذته الدهشة .. حيث لاحظ قارب حراسة سوفيتى (القارب س ٢٠٨) فى المرة السابقة .. وانتظر للإيقاع به فى الزيارة الثانية وغير مدرك

أن المخابرات السوفيتية كانت متلهفة أن يصل القارب بأمان ، ولاحظ كلاوس وهو يقف فى كابينة القيادة فى القارب (س ٢٠٨) أن سفينة سوفيتية عندما بدأ قاربه فى الاقتراب من المياه الأقليمية متجهاً إلى الشاطىء .

وأصدر أمراً حازماً .. أن تزاد قوة المحرك إلى ٥٠ عقدة حتى يتفوق على المطاردين . وقبل أن يلتقط المصورون الروس فيلماً للقارب الهارب .

وفى مستهل عودة كلاوس إلى هامبورج كانت تلك الحادثة أسباباً لأزمة دولية ..

حيث اشتكى فاسيليف مولوتوف شخصياً بناء على توجيهات وزارة الدفاع ، إلى بيفن من الغزو غير المقبول .. للمياه الأقليمية السوفيتية بواسطة سفينة تجسس ووقع بيفن فى حيرة وحرج . وتعلق موظفو الخارجية البريطانية المحنكون ، فى القسم الشمالى بتقارير البحرية الملكية عن تركيز ضخم وغامض للسفن الحربية السوفيتية فى البلطيق قرب فينتسلبس ، وان تبدد غموض ذلك فيما بعد ..

ولم يتابع احتجاج مولوتوف . وأبلغ الجنرال كرجلوف غاضباً وزارة الدفاع أن حمايتهم الجادة للوطن قد تداخلت مع عملية فى غاية السرية .

وفى هامبورج ، وانتظارا لليالى الخريف الطويلة ، بدأ كلاوس يعد للعودة إلى البلطيق .

وبنهاية سبتمبر ، طار نفس العملاء الثلاثة من لندن إلى ألمانيا ، وهم : موليسلاف بيانتس « مشغل اللاسلكى » ، حينئذ سنة ١٩٥١ بينما هو يعمل فى مخبز بلندن . وهو عضو سابق بالفيلق اللاتفى وقد وصل إلى لندن فى ظل مشروع « ويست وود هو » ، وشرح فيما بعد للأنصار .. أنه كان غريباً فى بريطانيا وكنت أود العودة إلى وطنى .

واشترط فى عقده مع المخابرات البريطانية أن تدفع له راتب خمسة جنيهات استرلينى أسبوعياً ، على حساب فى بنك سويسرى .

ورفيقاه الآخران هما : ليو أودوفا « أنتس » ، ومارك بيداك « أوتو » وكلاهما من استونيا ، وهما حسب خطة المخابرات البريطانية .. سيلقيان المساعدة فى استونيا من قبل جماعة ماكسس . وكلاهما عضو سابق فى الفيلق الإستونى .

وكان أودوف منذ الحرب أصبح متديناً بشدة ويحمل دائما نسخة من العهد الجديد . ومهمة الرجلين هى تنفيذ مهمة جوستاف الأصلية وإقامة اتصال مع الحركات السرية فى استونيا ..

وتحسباً لمشكلات فى الإنزال ، أرسلت برودوى تياراً من الرسائل إلى ماكسس تنصح بالإجراءات الخاصة بوصول (س ٢٠٨) بما فى ذلك استخدام منارة تعمل بالبطارية . ورسائل بشفرة موريس ، وإشارات ضوئية على شكل حرف (K) .

واختير موقع الإنزال فى ليلة ٢٨ / ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٥١ فى خليج يقع على بعد ستة كيلومترات عن فنار أوجافا فى بقعة عمياء بالنسبة لشبكة الرادار السوفيتى .

وبعد أن حصل العملاء الثلاثة على التسلية للمرة الأخيرة فى النوادى الليلية . توجهوا إلى سفينة فلاوس واستعدوا لرحلة الستمائة ميل وتحتوى الحقائب التسعة الضخمة التى يحملونها .. على أربعة أجهزة لاسلكى وكتب شفرة وأحبار سرية وثلاثة مدافع نصف آلية وست مسدسات وألفى طلقة ذخيرة و ١٥٠ ألف روبل ، وقد أقنعت برودوى هؤلاء أن إقامة شبكات « المخابرات فى البلطيق » يخدم بإخلاص فى قضيتهم .

وفى تلك المرة ، أحس كلاوس بالثقة ، عندما لمس حافة الشاطىء فى الليلة القمراء لأنه خدع سفن الحراسة السوفيتية . وعلى بعد نصف ميل من الشاطىء ومضت الإشارات الضوئية على شكل حرف (K) .. وأنزل قارب مطاطى يسمى « ليدى جان روسيل » إلى الماء . وعلى الشاطىء أخذ بيركس يلوح بإشارات الوداع إلى كيبورس قائلا .. سأفعل مابوسعى لأكون ضمن مجموعتك عندما أعود مرة أخرى ، ماالذى أرسله لك من لندن ؟

وأجاب كيبورس .. مزيداً من النقود والبنادق والرعاية الطبية ، وأوما بيركس ودس فى يد كيبورس رزمة وثائق سوفيتية على بياض .

وقال له : يمكنك أن تستخدمها فى إضفاء الشرعية على نفسك ..

وتنهد بيركس .. وخاض فى المياه الداكنة متوجهاً إلى القارب المطاطى وشوهد جاليتس .. فى ذات اللحظة .. وهو ينحنى ويأخذ حفنة من الرمال ووضعها فى جيبه .. وتعجب كيبورس من ذلك لأن ضباط الـ « كى ـ جى ـ بى » لايؤمنون بالعواطف أو الإحساس ..

وفور أن صعد بيركس وجاليتس على سطح المركب ، قدم كلاوس لكل منهما زجاجة براندى وسيجاراً فخماً ، وضحك قائلاً : إنها هدية من العم سام .وساعد الفريق المتلهف لوصول الثلاثة عملاء فى حمل الحقائب .. ثم اختفوا بعدئذ بين الأشجار ، وعند الفجر وفى معسكر جماعة .. ماكسس .. أخرج بياتنس مظروفاً كبيراً من جيبه يحتوى

على خطاب من ساليرجاس وقراه بياتنس بصوت عال أمام الأنصار المحتشدين . والخطاب يفيض بالأمنيات القومية والوطنية وانتهى بعبارة « لن ننساك أنت ومقاتلوك » .

وحقق كيبورس الذى أصبح « آبانس .. مُشغّل اللاسلكى »

إن مستقبل نجاح لوكاسيفكس يعتمد فى تلك العملية على كيفية مايحرزه جاليتس فى لندن من نجاح أيضا ..

واعتبر ساليرجاس وريبان .. أن الوصول الآمن لقائد جماعة « ماكسس » وعودة بيركس عملاً بالغ الأهمية .. وكانا ينتظران عودة (س ٢٠٨) عندما رسى فى كيل . ولقى الضيوف ترحيبا حاراً بلا حدود . وكان مقرراً أن يطيرا بعد ذلك مباشرة من جوترسلوه إلى « فيرفولد » ولكن الأهم كنوع من الحذر .. تغيير الملابس .. وترك ملابس وأردية الغابات فى هامبورج .

وبدأ ساليرجاس يشرح لجاليتس كيفية حماية نفسه إذا تعرض للاعتقال من المفتشين ، عند العودة .

وفى الطريق إلى بريطانيا ، بدأ جاليتس يحكى إلى ساليرجاس عن نجاحات الأنصار ومشاكلهم . « هناك العديد من الجماعات فى المنطقة » وأكد على سامعه المتلهف « بأن سبعة منها على الأقل قوية » ولكنهم بحاجة إلى مزيد من الأسلحة والمال والوثائق ..

وأومأ ساليرجاس بالموافقة . قائلاً « لاتنزعج » سنساعدكم وسترسل إلى مدرسة خاصة حيث يمكنك التدريب لتكون كادراً يوسع شبكة المخابرات .. واعتقد ضابط الـ « كى ـ جى ـ بى » ان مهمته أقل صعوبة مما تخيل لوكاسيفكس .

وفى لندن ، انفصلت المجموعة .. وكان بيركس يحتاج لعلاج طبى عاجل بينما جاليتس ذهب إلى مكتب فى منطقة فيكتوريا للاستجواب المكثف من قبل ساليرجاس .

وكان المناخ منفرجاً .. حيث وضعت الحرب الكورية أوزارها على نحو غير متوقع . وخفت حدة التهديد لأوروبا .. إلا أن التوتر ظل قائما ..

وفى الأيام التالية .. أدرك جاليتس بالتدريج أن ساليرجاس ، المدعو « جايربيل » كان خطافاً ألقى به العم ماكبن ..

وبدا المواطن اللاتفى متحيراً من أن الأنصار لم يستخدموا الأسلحة التى زودتهم

بها بريطانيا للاشتباك مع الروس فى مناوشات ، ولكن فى حرب شاملة .. والتى تخيل أنها الأمل الوحيد لاستقلال لاتفيا .

وعلى النقيض من ذلك .. كان ماكبن الذى التقاه جاليتس فى اجتماعات منفصلة ، بدا مستبعدا لفكرة إراقة الدماء وطلب من الأنصار القيام بعمليات استخبارية يمكن أن تستخدم من الغرب لإضعاف السيطرة السوفيتية .

وكان الانقسام المكشوف داخل الأدارات لاتخفى دلالته ولكنه خبا فى عقل عميل الـ « كى ـ جى ـ بى » لأن الضغوط التى تعرض لها تكثفت فى أثناء الاستجوابات اليومية .

وبعد أربعة أسابيع ، وبالتقريب ، من وصول رجل الـ « كى ـ جى ـ بى » انهارت أعصابه ، وأرسل ساليرجاس إلى جماعة ماكسس يخبرهم أن قائدهم يعانى من انهيار ويعالج فى إحدى المستشفيات ، وأجلت عودته .

وشك لوكاسيفكس فى أن انكشاف جاليتس والعملية . ولكن من العملى . الاستمرار كالمعتاد .

وفى ذات الوقت .. كان بيداك ، وأوروفا يشقان طريقهما الآمن إلى استونيا . وكانت أوامر بيدال هى الاتصال بصديق ريبان القديم سيرسل .. مكان قائداً من الأنصار .

وكان توجيه ريبان « أنه عند أول لقاء به لابد من سؤاله عن المساندة التى ينبغى تقديمها . لأن سيرسل بكل ذكريات الجبهة الشرقية سيبرهن لك أنك قابلت الرجل المناسب .. ولكن لمزيد من التأكد هذه قائمة بالأسئلة الشخصية وبعض الإجابات التى لابد أنه يعرفها جيداً ..

وأطاع بيداك . وفى منزل خارج العاصمة الاستونية ثالتى التقى مع سيريل الذى أتى بعد تأخير طفيف ..

ووجد بيداك الساعة التى يرتديها فى يده تخضع للتفتيش ولم يحتج .

وفى الإجابة على أسئلة بيداك ، أجاب سيريل الإجابات الصحيحة وإن بدا لبعض الوقت غير متأكد تماما من تلك الإجابات . ورغم أن بيداك أصبح أكثر يقينا فى اليوم التالى .. وتبددت أى شكوك لدى بيداك .. وبعد أيام قليلة .. أرسل بالشفرة إلى لندن « كل شىء على مايرام » ولأن الرسالة الشفرية لم تحتو على الحروف التى تشير إلى أن بيداك لايقع تحت السيطرة السوفيتية .. فقد أخبر ريبان .. ماكبن .. ضرورة إرسال المزيد من العملاء بطريقة أكثر أمناً .

ولم يكن معروفا لبيداك .. أن سـيريل الحقيقى كان معتقلاً من الـ « كى ـ جى ـ بى » وهددوه بالتعذيب . وأنه اعترف سابقاً .. لبديله .. فانت .. بكل جانب من حياته مع ريبان .

ولذلك قرر ماكبن وعلى الفور ، أن طريق لاتفيا هو الأكثر أماناً لزرع العملاء (وأرسل آخرون فيما بعد على متن قارب سريع من فنلندا) ويجب تدبير بعض العمليات عبر الحدود ، نظراً لاتساع ونمو عش الـ « كى ـ جى ـ بى » فى استونيا ..

وخلال الصيف .. عمل آبانس ، كيبورس وأربعة آخرون على أنهم مجموعة « روبرتس » ولكن الأنصار وجدوا ذلك الجهد مضنياً . وشرح كيبورس إلى لوكاسيفكس بأن الحياة على مقربة وثيقة مع عميل المخابرات البريطانية .. ووسط الناموس والرطوبة أملت إحساساً دائماً بالخوف من الخيانة والغدر وخاصة عندما ينامون . وأضاف « ويطلب آبانس الآن أن يشن الأنصار هجوماً على ضباط الـ « كى ـ جى ـ بى » ، وقال كيبورس : « فإن ذلك سيكون عملاً خطيراً » وكان حل لوكاسيفكس هو الهجوم على معسكرات الأنصار .

وأجبرت الغارة المفاجأة جماعة روبرتس على خرق الأمان بحثا عن غطاء . وفاقمت من مخاوف آبانس ووجوده الحذر .. ووجه فوهة مسدسه تجاه أى صوت ضعيف . وحكم على حيلة لوكاسيفكس أن تواجه بعمل مضاد ..

وحينما بدأت الثلوج تهطل وافق ميجور الـ « كى ـ جى ـ بى » على أن مشقة الحياة فى الغابات لشتاء ثان أمر زائد عن الحد .

ونشطت شبكة المتعاطفين المعادين لروسيا فى ريجا . وتم تجنيد أطباء ومهندسين ومدرسين وكتاب بما يمكن من تسكيين عملاء المخابرات البريطانية . وتقرر أن يعيش آبانس مع اليمار رميس ، صحفى فى الثلاثين من العمر والذى جنده لوكاسيفكس لرعاية العميل البريطانى ..

ولم يكن تجنيد رميس أمراً مثيراً ولكن جدير بالاهتمام ففى أثناء الاحتلال الألمانى شاركت أسرته المنتمية للطبقة الوسطى فى التسامح إزاء النازى ، والعداء للشيوعيين والتحق بناء على رغبته بالجيش الألمانى .. وهاجر هو والألمان المتقهقرون إلى ألمانيا ، ثم عاد إلى ريجا فيما بعد ، ليستأنف دراسته وبدلا من أن تعتقله الـ « كى ـ جى ـ بى »

وترسله إلى سيبيريا . أطلق سراحه وسمح له بالعودة إلى وطنه وكان ذلك أمراً غامضاً . وفى عام ١٩٤٧ كان لوكاسيفكس يبحث عن مواطنين لايثيرون شكوك المخابرات البريطانية . وكان ريمس موضع اهتمام خاص .

وقبل الحرب .. كان ريمس .. وبمساعدة أسرته ، على صلة خاصة مع المجتمع البريطانى المقيم فى بلاده ، وكشاب صغير ، ظلت ميوله السياسية بريئة تماما ، وأى تحقيق تجريه المخابرات البريطانية لن يعثر له على نشاط يمينى أو يسارى .. بل يكشف عن أساس مؤيد للغرب ، ذلك جعل من ريمس مرشحاً مثالياً لعملية الخداع التى تقوم بها الـ « كى - جى - بى » .

وعند تلقى ريمس فى نهاية سنة ١٩٤٧ خطابا ليرسله إلى المكتب العسكرى فى ريجا للكشف عن صلاحيته المستمرة للمشروع ، رغم أن ذلك كان مجرد إجراء روتينى

وفي مقابلة غير رسمية ، لاحظ ريمس وجود ضابط قليل الكلام بجوار المحقق ، وكان الاجتماع قصيراً وسئل أن يظل بالخارج . وبعد خمسة عشر دقيقة اقترب منه الضابط الصامت وبدأ معه حديثا عن الأحداث فى بلاده من الحرب . واشتركا معا فى لقاءات ودية تالية ، وكان الحديث انتزاعاً « بطريقة سرية » لمواقف ريمس بأسلوب ودى ولطيف . وعندما كشف الضابط المجهول عن هويته وكان هو الميجور « لوكاسيفكس من الـ « كى - جى - بى » أدرك ريمس كيف مهد الضابط الأرضية بمهارة على المستوى النفسى قبل أن يقدم عرضه « نريد منك بعض سنوات عمرك فى خدمة الوطن » ولن تكون لديك أية مشاكل بعد ذلك .. ولك شكرنا فقط » وكان هذا عرضا لايمكن رفضه.

وخلال العامين التاليين .. عهد إلى ريمس بمهمة أن يبدوا أمام الدبلوماسيين الغربيين كمعادى ساخط للشيوعية . أملا فى أن ينخدعوا ويدخلوا إلى المصيدة .

وفى سنة ١٩٥٠ ، عندما كان لوكاسيفكس يبحث عن منازل آمنة « للأنصار » استدعى ريمس إلى موسكو ليكون واحد ضمن مجموعة ماكسس وأن يوفر حاجة لودس آبانس لمنزل أمن فى شارع زالا فى ريجا .

ولا تحتاج إلى شىء غير أن تجعله راضياً وعقيماً قدر الإمكان .. وبدت لريمس مهمة غير معقدة حتى كان لقاؤهما الأول على وجبة طعام .. حتى أدرك أن ضيفه كان ممثلاً ومؤلفاً وكان « لصا مرتجلاً لايمكن التكهن بما يفعل على الإطلاق » .

وكان آبانس قلقاً تجاه بناء شبكة وعصبياً تجاه مخاطر مواجهة الـ « كى - جى - بى » وكان الحل دائما عنده هو حمل مسدس محشو بالرصاص فى جيبه من ماركة

والتر .. وكان يخرجه على الفور عندما كان يدخل أو يغادر الشقة التى يقطن بها فى الطابق الرابع . ويضع بجانب نافذة حجرة النوم .. لفة من الحبال .. للهروب السريع .

وعندما سافر آبانس مع ريمس بالسيارة .. كان يضع بندقية نصف آلية تحت ملابسه .. وحتى تناول الطعام فى الشقة أصبح شيئاً خطيراً . وكان غالبا ما يصوب مسدسه تجاه ريمس وهو يردد مزعوراً من الخوف « لانريد استخدام الرصاص ضد الشيوعيين ، إنما سنشنقهم فرداً فرداً » .

وكان المنفى العائد تجاه حمام الدم الذى يحلم به .. تصيب ريمس بقشعريرة ، لأنه يدرك أنه سيكون من أوائل الضحايا ..

وسأل ريمس .. بالتأكيد أن البريطانيين أكثر تحضراً من أن يتورطوا فى قتل الناس ؟

وأجاب آبانس .. ليس هناك من شىء تفعله مهم .

وأومأ ريمس .. سنكون فى مأمن ..

وواصل آبانس القول « عندما نصل السلطة » فى صوت أجش ومشهود فى أثناء عشاء مع الشراب ، سوف أحصل على نقود كثيرة وعلى موقع فى الحكومة . وأثناء الشراب يكون آبانس طريفاً للغاية .. بينما تصبب ريمس عرقاً بارداً عندما بدأ ضيفه الحديث عن ذكريات الحرب وتفاخر بدوره فى إعدام جماعات إرجياس وقال قتلناهم جميعاً ، شيوعيين ويهوداً ونساءً وأطفالاً .

وبعد ذلك .. فحص لوكاسيفكس الأرشيف لمعرفة عما إذا كان آبانس حقا قاتلا محترفاً ولم يعثر على دليل بذلك . ومن المحتمل أن يكون كلامه مجرد تفاخر فارغ ولكنه كشف عن تحالف غير معروف بين القوميين واللاتفيين والحكومة البريطانية .

وبينما كان آبانس فى رعاية ريمس .. بتمويل من المخابرات البريطانية ..كان يخرج إلى المدينة على نحو منتظم لجمع المعلومات ويبحث عن المجندين . وكان يعطى كابوريس ـ عبر « ريمس » رسائل لنقلها إلى لندن ولم يكن مشغل اللاسلكى ، التابع للـ « كى ـ جى ـ بى » فى الغابة ، كما تخيل آبانس وإنما عاد إلى أسرته فى ريجا . وكان يتوجه يوميا للعمل فى شارع لينين وكانت سيارته الليموزين مزودة بنوافذ سوداء خشية أن يقع عليه بصر آبانس عندما يعبر شوارع المدينة الصغيرة .

وفى بداية مارس سنة ١٩٥٢ ، تلقى لوكاسيفكس معلومات كافية من مصادر أخرى فى لندن تؤكد أن مرض جاليتس حقيقى . وأن الشهور المنصرفة لم تكن هناك تحركات ولم يصل عملاء جدد وحاول أن يحفظ مشغلى اللاسلكى فى جماعة روبرتس وماكسس فى حالة عمل .. وزودهم باستخبارات حقيقية .

واختلط تقديره ، عندما طلبت برودوى من آبانس قائمة بكل سفن الأسطول البحرى فى ميناء فينتلبيس ، وحمل ريمس الرسالة الشفرية من كيبورس إلى آبانس .. وبعد فك الشفرة ، طلب عميل المخابرات البريطانية من ريمس الحصول على المعلومات .

وأبلغ لوكاسيفكس المركز فى موسكو عن مطلب لندن ، وطلب إذنا بإرسال المعلومات . ولدهشته . أن موسكو أجابته .. أن وزارة الدفاع عارضت إعطاء لندن المعلومات الحقيقية وأصرت أن تحصل لندن فقط على عدد سفنٍ يقل عن الموجود فى الميناء .

واحتج لوكاسيفكس بأن سفن الشحن الفرنسية والسويدية التى تزور ميناء فينتليس .. والتقارير التى سيقدمونها بعد عودتهم ستدحض معلومات الأنصار ويبدو أن البيروقراطية لم تهزم أمام لوكاسيفكس .

وجهز ريمس المعلومات المعلومات « الكاذبة » التى طلبها آبانس والتى شفّرها وسلمها لريمس لترسل إلى كيبورس لنقلها إلى لندن .

وبعد بضعة أسابيع فيما بعد .. أرسلت لندن إشارة أفادت « أنها لاحظت فجوة فى المعلومات وتحث على مزيد من العناية بالتفاصيل » .

وشملت الرسالة على مطلب آخر : وهو أن عميلاً على وشك السفر إلى جوركى ومطلوب تقرير عن غواصة جديدة ، كشفت عنها مصادر أخرى ، على وشك الإبحار من باكو وعبر الفولجا ، متجهة إلى البحر الابيض، ولأن وزارة الدفاع فى موسكو لن تسمح بالإفراج عن الاستخبارات المطلوبة .. قرر لوكاسيفكس اتخاذ إجراءات صارمة ضرورية .

يجب أن يعود جاليتس .. فبدونه .. ستقل قوة دفع عملية الخداع ، ومخاطر الانكشاف تتزايد .

وقرر لوكاسيفكس .. زيادة المخاطر .. فلابد أن تقتنع برودوى أن الأنصار فى خطر وهناك حاجة لمزيد من العملاء ، وأرسلت رسالتين فى أوائل ابريل سنة ١٩٥٢ لتنذر بالخطر فى لندن .

وكانت أول رسالة .. جاليتس مات من المرض .. وكان مينوس (أوجادنز) طلب من بيركس إرسال حبوب مخدرة لزائدته الدودية التى تسبب له ألما .. وفسر ساليرجاس « إشعار الموت » بأنه يعنى أن تلك الحبوب كانت مطلوبة على وجه السرعة أكثر مما أدرك .. وكان الموت سوء حظ ولكن الحقيقة كانت أسوأ .

وكان جالدنز قد قضى الشتاء فى منزل متعاطف مع الأنصار وزوجته وجدت شقاق بين الرجلين عندما تقدم جالدنز بشكل واضح من السيدة . وكان عليه أن يبحث عن مأوى آخر .

واتفق أن يسافر أولا إلى ريجا . وكان نفس قارب الصيد الذى حمله إلى الغابات منذ ثلاثة سنوات مضت هو ذاته الذى حمله عائداً إلى المدينة . وتوقف فى الطريق .. للتزود بالوقود .وحينئذ ظهرت « سفينة حراسة مسلحة » وسئلت المجموعة عن وثائق الهوية واضطر السائق إلى أن يشير إلى جالدنز وقال « إنه مسافر مجاناً » ولم يره من قبل ، واعترف جالدنز أن زوراقه فقدت .

وبينما صوب أحد رجال الحراسة المسدس صوب جالدنز ، بدأ الآخر يفتش فى ملابسه وعثر على مسدس وخرائط . وقال بدهشة ظاهرة : « لقد أمسكنا بجاسوس » واستجوب جالدنز ولقى حتفه وأنكر عن عمد أية معرفة « بعش لوكاسيفكس » تحسباً لإمكانية الهرب وبعد الإعدام وصلت الرسالة المختصرة إلى لندن تخبرها بموت جالدنز . وبعد أسابيع قليلة .. وصلت رسالة بالحبر السرى على عنوان سرى فى أوروبا الغربية وتحتوى على تفاصيل « دفنه بكل التقدير » وتجهيز مقبرته بالقرب من ثلاثة أشجار بلوط .

وكان جانيس بيرزنس (تومى) ضحية خطة لوكاسيفكس لإنذار لندن . ووضع لوكاسيفكس قصتين ، وتقرر سجلات الـ « كى ـ جى ـ بى » أنه كان دائم الخوف من الرقابة والرصد والأسر وأخيراً فقد أعصابه وألقى بنفسه من النافذة بشقة بالدور الخامس فى ريجا .

والتقرير التالى الذى أرسل إلى لندن قرر : أن بيرزنس ومساعد له ألقت الـ « كى ـ جى ـ بى » القبض عليهما فى ريجا فى الطريق لإرسال رسالة لاسلكية وسحب كلاهما

بندقية ومات المساعد على الفور ، بينما جرح بيرزنس وبدلاً من أن يقع فى الأسر حياً .. أطلق على رأسه الرصاص ببطولة ..

وتنتهى الرسالة بالأسف .. وتقول : إن جهاز اللاسلكى وجدول مواعيد الرسائل الشفرية .. عثرت عليه ال « كى ـ جى ـ بى » ، لكن ظلت الشفرة سليمة .

وأثمرت الأنباء السيئة النتائج المأمولة ..

وافترضت جماعة ماكس أن يعود جاليتس ومعه ثلاثة عملاء فى ابريل .

وكانت الأيام التى سبقت نقل جاليتس إلى ألمانيا محمومة ولكن كانت بها لحظات هزلية فريدة .. حيث أنفق ساليرجاس ساعات طويلة مجادلاً قائد الأنصار عن فرصة التمرد الشامل المسلح لتحرير لاتفيا . وتوقفت المناقشات بسبب مرض رجل .. الأنصار .. وإن كان ساليرجاس يعتقد أنهم لابد أن يوافقوا على استراتيجية عدوانية تتجاهل تماماً تعليمات ماكبن وبلغت تلك المناقشات الذروة قبل رحيل جاليتس .

ومرت بوجه ساليرجاس لحظة عبوس غير عادية . عندما نهض وصافح جاليتس . وأخرج ورقة من ملف ، وشرح ضابط المخابرات البريطانية .. أهمية الرسميات التى يجب أن تمتثل لها . وأحب أن توقع على تلك الوثيقة ، وأخذ جاليتس الورقة ووقع « أنا أرفيتز جاليتس » وقرأ باللغة اللاتفية .. أعرف أننى أتحمل مسئولية تجاه لاتفيا وشعبها والرب وأقسم أننى لن أقول شيئا عن عملى ولاعن تلك الأهداف .

« وأفهم أننى إذا قلت مثل هذا فإننى أستحق الموت وأعتبر نفسى فقط فى حل من هذا القسم عندما تعطينى الحكومة اللاتفية إذناً بذلك .

وعندما انتهى جاليتس من القراءة ، قال ساليرجاس بنبرة حزن « عليك أن تقسم أمام الله والحكومة أنك ستقاتل من أجل تحرير لاتفيا » .

وكان عميل الـ « كى ـ جى ـ بى » مؤهلاً بلقائه لكى يتفهم ملابسات الموقف وبدأت أعصاب جاليتس تنسل مرة أخرى . وصاح وهو يشير إلى الحقائب المملوءة بالمستلزمات والأغراض « لاأريد كل تلك الحقائب » وإن الغابات مليئة بالمفتشين ولم يهتم ساليرجاس وسافرا معاً إلى هامبورج وفى عشية الصعود إلى القارب (س ٢٠٨) طلب الكولونيل ريبان من جاليتس التحلى بالشجاعة فى نضاله المستقبلى . ضد ستالين اللعين . ولايمكن لأحد أن يلعن اسم ستالين العظيم ..

ونظر اللاتفى إلى ريبان وأوشك أن يلقى به من النافذة ..

ولايزال ساليرجاس فاشلاً فى الوصول إلى الاستنتاج الصحيح .

وفى ليلة ٢٠ ابـريل سنـة ١٩٥٢ ناور كلاوس مـرة أخرى تجاه وميـض الضوء الأحمر فى البقعة المخصصة للإنزال القريبة من فنار أوجافا بالقرب من فينتوبوليس .

وكان على متن الزورق .. جاليتس وعملاء ثلاثة جدد هم :

ـ انستاس بيرلتس « ميك .. ليتوانى » .

ـ وجانيس بياسنتكس « هوجو » من استونيا .

ـ والذى تدرب على أعمال التزوير وتشغيل اللاسلكى .

ـ والبرت كوسك ـ ليتوانى باسم « جورج » .

وعندما اقترب الزورق من الشاطىء .. ونـادى المجدف وهو زيجماس كوديركا .. المجموعة الموجودة على الشاطىء .. وزيجماس ليتوانى جندته المخابرات البريطانية منذ عام مضى فى لندن .

وقال .. إننا قـادمون من عند جاريبل .. ورد بيـاتنس المسئول عن الاستقبال كما نصحه ساليرجاس « لوسفير فى انتظاركم » .

وبعدمـا قفز الأربعـة من الزورق .. صعـد شخص واحد على متن الـزورق وهو لودس آبانس العائد إلى بريطانيا .. «المنهار عصبياً » .

وكان لوكاسيفكس قد قرر التوصيـة بعودته ، ليس كعمل إنسانى ولكن بعد عودة جاليتس المنهار عصبياً فان ساليرجاس والانجليز يريدون التأكد من أن الشبكة لاتزال عاملة .

ويمكن لآبانس أن يؤدى هذا الدور .. لأنه فى خلال الشهور الأخيرة كان متلهفاً على إنشاء شبكة اتصالات عبر ريجا وعدد من هؤلاء كانوا متعاطفين حقيقيين وأبرياء .

وتنفيـذاً لتعليمات ساليرجـاس ، فى الشهر السـابق على رحيله .. نقل آبـانس كل شىء تعلمه فى شارع أولد تشارش إلى كيبورس . بما فى ذلك كل الشفرات التى بحوزته

وبعدما صعد آبانس على سطح الزورق .. كان هناك شخص ليتوانى آخر يبلغ من العمر خمسين عاما .. لم يعرف عنه لـوكاسيفكس شيئاً واسمه « إدموندز » ولم يحذر

المركز فى موسكو من وصوله من فيلنيس .. ويعامل كعضو من الأنصار وصعد إلى القارب متوجهاً إلى لندن .

وانتهى تبادل المنهارين عصبياً . وأعفى جاليتس من العمل بين ..الأنصار .

وبعد استجوابه حكموا عليه بأنه .. كارثة .. وفى حقبة ستالين فإن الزملاء كانو قليلى التعاطف إزاء بعضهم البعض .

أما آبانس وبعد استجوابه فى لندن ظل فى خدمة المخابرات البريطانية فى سنة ١٩٥٥ ويعيش الآن فى شمالى لندن ولم يفقد حتى الآن قدراته الذهنية .

ولايزال ساليرجاس وماكبن وكار يعتقدون أن العمليات فى البلطيق تسير على نحو طيب نسبياً . وأقنعت الرسائل القادمة من روبرتس البريطانيين أن المخابرات تبنى شبكة جاسوسيةعبر الاتحاد السوفيتى واصلت ماكسس عملها على نحو مرضٍ أيضاً .

وكانت الشبكة الليتوانية مشكلة بعدما انقلب ديكسنس . ولكن جرت إقامة اتصالات جديدة وادموندز ممثل زعيم الأنصار قدم إلى لندن لينافس استراتيجية جديدة وأخيراً أقيمت اتصالات ثابتة مع شبكات المعارضة الاستونية السرية .

واكد .. العميل الاستونى ألبرت كوسك وصوله الأمن إلى تالين فى رسالة قصيرة أرسلها إلى ريبان نقلت عبر واحد ممن اتصل بهم . والذى اعتقد أنهم كانوا أعضاء فى شبكة قائد الأنصار الاستونى « سيريل » .

وفوجئت الـ « كى ـ جى ـ بى » فى استونيا .. بالوصول المفاجىء لكوسيك .. حيث كان مقرراً من قبل المركز فى موسكو أن يظل لبعض الوقت مع جماعة ماكسس فى لاتفيا .

ولكن تغير ذلك الترتيب ، عندما لاحظ الأنصار أن الاستونى يتصبب عرقاً ويختفى بانتظام بين الغابة . وبعد أسبوع واحد اعترف كوسيك أنه أصيب بمرض الزهرى وربما يكون أثناء الليلة الكبيرة فى ريبر هام .. وتغلبت المصلحة الذاتية على الواجب المهنى ، وانحنى لوكاسفيكس أمام مطالب ضباطه بأن يرسل العميل فوراً إلى أستونيا قبل انتشار المرض .

وأرسل إلى لندن إشارة بحالة كوسيك السيئة .. وكانت إجابة ريبان واضحة « لاتتصل بأطباء واستخدم أقراص البنسلين واختبىء فى الريف بينما عثروا له على منزل آمن فى المدينة » .

ومن بين الخمسة وثلاثين كيلو أمتعته التى حملها عميل المخابرات البريطانية كومة .. جوازات سفر سوفيتية على بياض وبطاقات هوية . وتصاريح عمل وختامة

مطاطية . والتى تختم الوثائق بطريقة شرعية .

وحصل العميل على بعض الوثائق من قسم الخدمات الفنية بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية الـ « سى ـ أى ـ إيه » . والتى أنشئت مصنعاً متخصصاً فى مركز قيادة الوكالة فى واشنطن .

وكان خبراء الـ « كى ـ جى ـ بى » متأثرين جداً إزاء التقدم فى إتقان عمليات التزوير من قبل نظائرهم .

وعندما وصلت الأنباء فى الغرب سنة ١٩٤٩ عن أن السوفيت بدأوا إنتاج جوازات سفر جديدة .. وعرفت المخابرات المركزية والمخابرات البريطانية بكل أسف أن السوفيت يستخدمون الجوازات التى عثروا عليها بحوزة اللاجئين .

ولم يعد .. بعد ذلك بمقدور عملائهم الاعتذار بأن أوراقهم فقدت أو سطا عليها الألمان أثناء الحرب .

ولذلك .. بدأت الوكالتان فى تزوير جوازات السفر .. وأنتجوا جوازات سفر على درجة من الإتقان افضل من الأصل .

وكان الشرط الأساسى لذلك هو تجنب الأخطاء التى وقعت فيها المخابرات الألمانية أثناء الحرب .

ولكن خان المزورون الأختام .. وكان السوفيت يستخدمون أختاماً معدنية قاصرة الجودة وتصدأ بسهولة وتلوث أوراق جواز السفر .

بينما استخدم الألمان أختاماً من الصلب النقى لاتصدأ .

وكان ذلك واحداً من الأشياء الدقيقة التى عمل المصنع المتخصص فى المخابرات الأمريكية على تجنبها .

وفى واشنطن جند قسم الخدمات الفنية مائة متخصص لتحليل جواز السفر السوفيتى وإنتاج نسخة طبق الأصل .

وكانت المشكلات هائلة .. حيث كان مطلوباً من الخبراء تجاهل التطورات والتحسينات فى القرن الماضى ، ويستخدمون تكنولوجيا إنتاج الورق الردىء .. وكانت الخطوات التالية هى العثور على ماكينة قديمة وعندما فشل البحث ، بنت الـ « سى ـ أى ـ إيه » معملاً لإعادة إنتاج الورق السوفيتى المصنوع من أوراق الزيتون الأخضر .

وتحول الورق من اللـون القرنفلى إلى الأزرق فى عمليـة واحدة .. وأضيفت عـلامة مائية متميزة . وكانت الخطوة التالية البحث عن مطبعة تعود إلى قرن مضى .

وانتهى البحث المضنى إلى ماكينـة مناسبة فى مـركز لأحد البنوك فى فيينـا . وجند الكيمائيون لإنتـاج الأحبار السـوفيتية المختلطة والمتميـزة المستخدمـة فى خمسة عشر جمهورية ، والتى يرسل إليها العملاء .

واستأجـرت الوكـالـة المنفيين الـذين تعلموا فى تلك المنـاطق أنماط الخطـوط التى يستخدمها أبناء وطنهم والذين يعملون الآن فى الوزارت السوفيتية ..

وكان من بين العملاء زيجماس كاردوكا الليتوانى وهو الذى ركب الزورق فى رحلة كـلاوس الأخيرة واختير للسفـر فى رحلـة كـلاوس فى خـريف سنـة ١٩٥٢ ، وسيعمل كمشغل لاسلكى ؛ لأن ادمـوندز الليتـوانى أيضـاً والذى اجتمع مع آبـانس على وشك العودة وإنشاء شبكة المخابرات البريطانية .

وظل ادمونـدز لغزاً خلال إقامتـه فى لندن ، ورفض بقوة أن يكشف عن هـويته إلى زايمنتس متحججاً بالأمن وخوفه من الـ « كى ـ جى ـ بى » فى لندن . وكان يصر على أنه مُـرسل من الأنصار الليتـوانيين وقبل زايمنتس التفسير ، رغم ان زايمنتس قيل لـه من أحد المنفيين : إن أدمـوندز يبـدو قريب الشبه جـداً من مأمور السجن فى كـاناس . ولم يعلق أحد على قائد الأنصار الذى يزور لندن ويشترى باروكة ليستر صلعته .

وكان من المناسب لزايمنتس أن يتجاهل التحـذيرات وفضل ماكبن أيضاً ألا يأخذ حـذره . وفى أثناء تلك الشهـور التى أقام فيهـا ادمـوندز فى لنـدن حصل كوردكـا على تأكيدات بان عملية المخابرات البريطانية آمنة بالكامل .

وكان كوردكا يعمل باسم حركى فى المخابرات البريطانية باسم « كونارد » واسمه فى جـواز السفـر المزور هو « زيجماس زوربـا » والتأكيـدات التى تلقـاهـا كـانت من زايمنتس وجون لويدزوس وجون كروفتون فى شارع أولد تشارش .

وقد قال له « جون الكبير » لويدزوس .. فى أكثر من مرة « فلننظر إلى حركة العملاء التى لاتهدأ فى لاتفيا » . ورغم أن ضـابطى الاتصال فى المخـابرات البريطـانية لايعلمان شيئاً عن العمليات الأخرى فى روسيا ولكنهما أحسا أن « حركة زرع العملاء فى البلطيق كانت جوهرة التاج فى المنطقة الشمالية ».

وكان مجهـولاً للرجلين .. أن هنـاك إشارات تحذير فى بـرودوى ، أثارهـا البرهان

المتزايد عن فشل العمليات فى ألبانيا وتشيكوسلوفكيا وبولندا وأوكرانيا .

وهناك دلائل تتراكم تـدريجياً ضد فيلبى .. ولامـدعاة للدهشـة فى ذلك .. فمنذ أن فترت الهمة فى اصطياد حيوان الخلد .. ولم يكن هناك أى تفكير فى مواصلة بحث دؤوب عن بن عرس . إن شذا العمليات الخاصة لايدركه الجميع وإنما الأكثر حساسية . وكان أولئك من المخلوقات النادرة فى المبنى العتيـد . والأغلبية مثل كار يشبهون المتخصصين المتخفيين الذين وصفهم وليم كولبى « مديـر المخابرات الأمريكية » فى المستقبل .. وكتب عنهم فيما بعد « اجتماعيـاً ومهنياً .. اجتمعـوا معاً أكثـر من مرة واحـدة وكونـوا أخوة مشتركة ويأكلون فى مطاعمهم المفضلة معاً .

وهم منقسمـون حتـى على أنفسهم .. وتنسـاق عـائلاتهم وراءهـم ولـذا لم تكن دفـاعاتهم دائماً قـوية وبهذه الطـريقة انفصـوا بأنفسهم عن العالم العـادى وكونـوا لأنفسهم رؤية بديلة للعالم . وحياتهم المزدوجة أصبحت هى القيمة الواضحة ينظرون من أعلى على بقيـة المواطنين . ومـن ذلك نشـأ بعـد ذلك مـاسمى ونعت بـاسم عقيـدة « الولع » الاستخبـارات وهى رؤية غريزية ومشوهة ونخبـوية للاستخبارات، تفترض أن تكون المخابرات فوق كل العمليات الجارية فى المجتمع .

ويخدم المرء مخلصـا وطنـه ثم يحال للتقـاعـد مـن مهمتـه ، بعيـداً عن أى تقييم موضوعى لعمليـاته . كان ذلك قدر متـزيس وخليفته جون سانكلير . أمـا كار فقد ظل غافلاً عن البلاء .

وفى سنة ١٩٥٢ فقدت المخـابرات البريطانية مـدير العمليات والذى كـان عليه أن يبتدىء بأى تحقيق أو استقصاء مع نفسه ، وغدت المخابرات البريطانية خداعها للنفس بالرغبة فى الاعتقاد بنجاحها الخاص ..

وفى واشنطن .. كانت الـ « سى ـ إى ـ إيه » تعانى من مشكلات مشابهة لكن المدير الجديد للـوكالة الجنـرال والتربيدل سمث قام بمـراجعة شاملـة ويأمل من خلالها أن يجتث السرطان الذى أصيبت به المخابرات البريطانية .

* * *